

الشابستي

صاحب كتاب الديارات

= ١ =

بقلم : الاستاذ عبد الحميد الربيلي

لنديارات اثر عظيم في الادب العربي وشهرة معروفة فيه . وقد كانت سبباً فعالاً في انتاج كثير من الآداب المجونية وعاملاً لها في تكوين جبهة خاصة في الادب العربي حتى كاد يفوق نواحي كثيرة اخرى فيه وقد كثرت الحكايات الظريفه عن الديارات والتكات البديعة وكثر فيها ذكر مجالس الطرب والبناء والانس وكثر ذكر البدائيه الشعريه . وقد بقي لدينا في هذا الباب كتاب واحد فقط هو كتاب الديارات للشابستي ولم أجد احداً في أيامنا عقدله فصلاً خاصاً به فاحببت ان اعقد هذا الموضوع لترجمة هذا المؤلف وأثره وأثر انديارات على الادب العربي ؛ لان هذا المؤلف أصبح منذ القرن الرابع المرجع المهم في الباب على رغم من الف بده من الكتاب في هذا الموضوع .

(٢) ترجمته :

الشابستي هو ابو الحسن علي بن محمد البكاتب الاديب الفاضل الشاعر المؤرخ تعلق بخدمة العزيز بن المعز الفاطمي صاحب مصر فوله امر خزانة وجعله (دفتر خوان) يقرأ له الكتب ويجالسه ويتأمله وكان فكها جميل المحضر حسن المعاشرة ظريفا وله مؤلفات حسنة منها كتاب الديارات ذكر فيه كل دير بالموصل والعراق والشام ومصر والجزيرة وله كتاب اليسر بعد العسر وكتاب مراتب الفقهاء وكتاب التوقيف والتخويف وكتاب المراسلات وكتاب ديوان شعره وكتاب في الزهد والوعظ وقد اختلف في زمن موته فياقوت يقول انه مات سنة (٣٩٩) في أيام الحاكم بن العزيز وابن خلكان يقول انه مات سنة ٣٩٠ وينقل ابن خلكان عن المسبحي انه مات عام (٣٨٨) هـ وقد وقع فياقوت في غلط فترجم له في باب الحمد بن فقال هو محمد بن اسحق ابو عبد الله

١٦

الشابستي وفي اثناء الترجمة تردد في ذلك فقال (نقل لي بمصر بعض من اختبرت صحة نقله انه ابو الحسن علي بن احمد والله اعلم .) ومن المعلوم ان ما نقل له هو الصحيح . والشابستي لقب فارسي سياسي مأخوذ من شاه اي ملك وبشت اي خلف فيكون معناها الشخص الذي يمشي خلف الملك والمناخ الناس عن مزاحته . (٢) وهذه الوظيفة هي المسماة باللغة العربية بالحاجب والغريب ان هذه الشرح للكلمة لم يتضح لابن خلكان على رغم اطلاعه على الكلمات الفارسية ولم اعثر على تاريخ ولادته ولا المحل الذي درس فيه ولكنني رايت يقول في كتابه الديارات في اثناء الكلام عن دير قني في ترجمة ابن جمهور القمي (..) وكننا نحضر مجلسه بالبصرة فيملي اخبار اهل البيت عليهم السلام وغيرها ..) وهذا يدل على ان الشابستي كان في البصرة وتلقى دروسه هناك ولا يبعد ان يكون من اهلها وبزابطه التشيع ذهب الى الفاطميين بتصر واتصل بهم اتصالاً وثيقاً . ومن التحريفات المضحكة ان ياتي القائمون على طبع معجم الادباء في مصر فيجعلون عنوانه الشابستي بالسين ثم يعلقون في الحاشية بقولهم والشابست مدينه في مرو . وهذا غلط فضيع لان ابن خلكان الضابط المحقق ضبط الاسم بالشينين وتحير في تفسير الكلمة ولكنه جزم بانها تعني الحاجب وكذلك مرغليوث المستشرق الشهير والطابع الاول لمعجم الادباء ضبطها بالشينين ليس غير .

(٣) الديارات واثرها في الادب العربي وشرح بعض الالفاظ والمصطلحات في هذا الباب :

الديارات جمع دير ويجمع ايضاً على ديور واديرة وديرة واديار ويسمى الدير احياناً بالعمرو وجمعه اعمار مأخوذ من الارامية بمعنى المنزل والبيت . (٢) ويحذف بالدير احياناً او تكون في داخله بنايات كالمناير عالية يسكنها راهب واحد ويقال لها القلاي او القلايات ومفردها على الاول قلية وعلى الثاني قلاية وهي كلمة يونانية [٣] بمعنى الصومعة ويشتمل بعض الباحثين انها عربية محرفة من الخلية التي جمعها خلايا لان هذه البنايات تشكل احياناً نظام الخلايا حول الديره، وتوجد بنايات اصغر من القلايا (١) هذا رأي اربابته اناني تفسير هذه الكلمة التي تردد في معناها

[٢] الديارات لطبيب زبات [٣] المراجع السابق

تسمى الاكبراح على التصغير وردت في الشعر العربي ومفردها كبرح وهي مسكن للرهبان ممن لا قلالي لديهم . والكلمة يونانية تعني الكوخ .

وقد ألف رجال الأدب والعلم من المسلمين كثيراً في هذه الديارات وما فيها وما حولها من مبان وحانات ودور ضيافة وما كان يحدث هناك وبين جدرانها من بحون وزهد وسكرو وعريضة وعبادة وأول من ألف في ذلك هو هشام بن محمد الكلبي وتبعه جملة آخرون كأبي الفرج الاصبهاني والسري الرفاء وغيرها وتوسع ياقوت في معجم البلدان بذكرها وكذلك ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار . ولكن اغلب هؤلاء اقتصر على وصف مجالس الالهو والقصف والمنكرات والخجور والحانات وما يتبع ذلك من زيارات اهل الترف من الملوك والأمراء والشعراء والادباء .

وقد كانت هذه الأديرة موصوفة بالخجور العتيقة الجيدة كما هي موصوفة بحال البناء وطلاقة الهواء . والسري في انتشار الخمر فيها ان من اللازم في الطقوس المسيحية حينما يصلي الراهب أو التيس ان يشرب خمرأ قليلاً جداً كأ كشتبان قبل الصلاة ومن هذه العادة تولدت هذه التوسعات في السكر والاهتمام بالخمر .

وكانت هذه الأديرة تهتم بتنظيم حياتها المعاشية بنفسها فتكون حقلاً حولها ومرعى جميلاً ورياضاً حسنة الأزهار والرياحين وكانوا هم يحجون الزائرين بذلك ويسمونهم النحية ؛ قال الشاشي في بحثه عن دير [درمالس] : [حضرا حداث الموضع ممن كان يقضي لنا الحاجة ويحيئنا بالطرفة والنحية .] والمراد بالنحية كما قلنا الهدية من طرائف الراحين ونفائس الأزهار ونحوها وكانت عادة تقديم الزعفران في بعض الأديرة التي كانت تزرعه منتشرة مضافاً الى ذلك انهم كانوا يقرمون بلوازم الضيافة حتى كانت لهم محلات خاصة لذلك قال الشاشي في بحثه عن دير يوحنا الى جانب تكريت [.. ولا يخلو من المتطربين والمتنزهين ولا من مسافر يتزله ولكل من طرقة من الناس ضيافة قائمة على اقدار المضاف لا يخلون بها ..]

وكان فيها وحولها حانات لبيع الخجور المعتقة مما يدفع اهل الترف والحجون لزيارتها ولا سيما في اوقات اعياد المسيحيين الذين يأمون هذه الأماكن ؛ قال الشاشي في بحثه عن دير مابر

... هو في الجانب الغربي من دجلة في بقعة كثيرة البساتين والكروم والثمار والحانات والخجورين .. وكانت هذه الحانات تجمع كثير من الخلفاء والوزراء وقد ذكر الشاشي في كتابه كثيراً من رجال الأدب والفضل والرئاسة ممن كانوا يقضون الايام الطوال هناك حتى قال في ترجمة محمد بن عبد الرحمن الترواني « انه رؤي في حانة هناك بين زقي خمر وهو ميت »

ولا بد لهذه الظاهرة من غزل وتغزل وما يتبع ذلك وقد ساعد على ذلك ان هذه الأديرة كانت دور علم وتعليم لارهبان والقسس ومن المستحسن جداً عند المسيحيين أن يكون الصبي الذي يتعلم الطقوس المسيحية ليقوم بواجب التبشير الديني جميلاً كامل الخلقة سليماً من العيب حسن الصوت بديع الترتيل ليؤثر على الناس ويكون مقبولاً لديهم محبوباً عندهم . وقد استغل هذه الظاهرة هؤلاء الزائرون . فكثير التغزل بالراهبين من شبان الأديرة والراهبات من صباياها واطلقوا العنان في الوصف للمنادمة والمجاسة والمداعبة وما يتبع ذلك ولا شك ان في بعض هذه المقطعات والحكايات النادرة التي وردتنا في هذا الباب مبالغة تخرج عن حد المعقول اذا فرط بعضهم حتى جعل هذه المحلات الدينية بمنزلة المواخير ودور القيادة ولا شك ان ذلك من باب « اعذب الشعر اكذب » ومن الغريب اننا لم نر احداً من هؤلاء الشعراء اهتم بأسرار اهل هذه الأديرة فوصف لنا الطرق التعليمية الدينية التي لديهم او المكتبات التي كانت في تلك الأديرة أو نحو ذلك مما لا يخلو منها كل دير اذ الأديرة كانت في كل القرون المسيحية مدرسة لهؤلاء القسس المتعلمين والمعلمين .

يتبع

عبد الحميد الدجيلي

المسير صبيح القزويني البغدادي

حيثك تسحب للهنأ أذيا لها	غيداء مارأت العيون مثالها
بيضاء ناعمة الشبيبة غضة	رسمت امرأة الهوى تماثلها
جعلت عقارب صدغها حراسها	من لثمها وجعودها أفعى لها
قد زين الزند البهي سوادها	حسناً وزين ساقها خلخالها
حوراء حالية المعاصم والطلی	عشق المقيم غنجها ودلالها